

حين نزل الطريق وتبع اليهود والنصارى

البعد الحضاري لأيام العطلة الأسبوعية

أحمد عيساوي

الاختبار ترسل فيها لمعينة روح الممانعة الثقافية والحضارية فيها. كما لها سندها العقلي، إذ بينت الدراسات العلمية الحديثة حاجة الإنسان الماسة ليوم أو يومين من الراحة يستجم فيها من وعناء العمل والتعب الأسبوعي، يصل حتى التقديس في المجتمعات المتطورة التي تضحي بكل شيء إلا بيوم عطلتها. وإيماننا منا بالبعد الحضاري والديني ليوم العطلة أضلنا المسألة على النحو التالي.

• البعد الديني ليوم العطلة

الأسبوعية: إن أيام العطلة والراحة الأسبوعية التي تتقاسم شعوب الأرض مقسمة حسب الأديان السماوية الثلاثة (اليهودية، المسيحية، الإسلام)، فيما تبقى الأديان الوثنية الأخرى كالكونفوشيسية والبوذية والبراهمية والمجوسية... تبعا لبقية الأديان السماوية الثلاثة، وذلك لعدم تضمناها على تشريعات تحكم وتنظم سائر شؤونها، كما هو الشأن في الأديان السماوية التي تنص على قداسة يوم بعينه من أيام الأسبوع، استنادا إلى المرجعية الدينية لكل دين.

وتبقى لهذه الأديان رؤيتها وتصوراتها العقيدية المقدسة الخاصة بها في اختيار يوم وتفضيله على يوم آخر، ولذا فإننا نجد أنفسنا أمام ثلاثة أيام رئيسة هي:

- ١- السبت لليهودية واليهود.
 - ٢- الأحد للمسيحية والمسيحيين.
 - ٣- الجمعة للإسلام والمسلمين.
- ولكن ما هي الأبعاد والخلفيات الدينية العقيدية التي اعتمدتها هذه الأديان في اختيار يوم راحتها الأسبوعية المقدس؟
- ١- سابات اليوم الذي استراح فيه

مبررات المسألة، في البلاد والمجتمعات التي شهدت في فترات من تاريخها تبعية تسلطية واستكبارية يكثر الجدل فيها حول الثوابت والمحددات المقدسة، كما يحتدم النقاش فيها أيضا حول الأطر المرجعية التي تحكم كثيرا من القضايا، وتوجه دفة الحياة فيها على المستوى الفردي والاجتماعي والسياسي.

يزعم اليهود أن الرب قد سبت يوم السبت واستراح من وعناء الخلق

للتبعية والاستماتة في خدمة مشاريع الآخر القوي في الكثير من البلاد العربية والإسلامية على مستوى الدوائر الرسمية وغير الرسمية يطرح للنقاش اليوم موضوع يوم العطلة الرسمية، ومدى جدوى أو عدم جدوى بقاءه مخالفا لما عليه في الغرب، بحجج التفتح والتقدم والتطور ومواكبة عصر العولمة.

ولنا أن نتساءل هنا، لماذا تصّر علينا بعض دوائر التبعية للغرب أن نبدل يوم عطلتنا؟ وتصّر معه جيوب التبعية المتحكمة فينا أيضا إلى إحداث مثل هذا التغيير الخطير في تاريخ ومستقبل وتوجه الأمة؟ ولماذا لا يغير اليهود يوم عطلتهم السبت بيوم الجمعة نظرا لوجودهم ضمن محيط عربي كبير؟ بل يصرون على تسييت سبتهم حتى لو خسروا أهم معاركهم. (١)

إن القضية في اعتقادنا لها أبعادها الحضارية البحتة، حتى وإن وجدت السند الإعلامي والدعائي المقنع الذي يضمن لها تمرير مخططاتها في المنطقة المغاربية، حيث العطلة في كل من المغرب وتونس يوما السبت والأحد، وستتبعهما كل من موريتانيا والجزائر التي بدأت بالونات

بحكم التبعية المطلقة للغرب، الذي استعبد حيزا جيوسياسيا وثقافيا وحضاريا من الأمم عامة، ومن الأمة الإسلامية خاصة، وبحكم عمليات الاستئصال والمسخ والتشويه... لكل المقومات والقيم والأطر الحضارية المرجعية للأمم المستعبدة صار كل شيء فيها قابلا للجدال وللمناقشة بعد أن أعضت عليه عوامل الغزو والاستئصال الاستعماري.

وبفعل عمليات الإبادة والاستئصال التي مورست ضد جيوب الممانعة الروحية والمقاومة الثقافية والحضارية لتلك الشعوب صار كل شيء فيها قابلا للنقاش والحوار بما في ذلك الأطر المرجعية المقدسة وإحياءاتها في الحياة الثقافية والاجتماعية والفكرية والدينية للعرب والمسلمين.

وبفعل قرون الهيمنة التي استمرأها الاستكبار العالمي ضد الأمم المستعبدة صار الغرب الوثني مسكونا بهاجس تبعية الأمم الأخرى إليه، تبعية مطلقة لقيمه الثقافية، ومثله الحضارية الوثنية. ولم يعد يتصور- بفعل المرضية الاستعبادية وعقدة المركزية الكامنة فيه تاريخيا- بروز حصون ممانعة ثقافية، أو مقاومة دينية مناوئة لمشروعه الاستكباري، الذي يحمل في الوقت نفسه عوامل إفناء المدنية الغربية نفسها.

وبفعل وجود الولاءات، وجيوب الإخلاص والوفاء للتبعية، وبفعل القابلية

أكاديمي جزائري



الرب جاء في سفر التكوين في الإصحاح الثالث من تورا العهد القديم عن خلق الخليقة، وقصة خلق الكون والحياة والتكوين وآدم ما يلي:

«... إن الله خلق النور في اليوم الأول، والسماء في اليوم الثاني، والأرض في اليوم الثالث، والنبات في اليوم الرابع، والشمس والقمر والنجوم والطيور في اليوم الخامس، وخلق الحيوان والإنسان في اليوم السادس، ثم تعب الرب من العمل، والجهد فاستراح في اليوم السابع وسبت...» (٢)

وبغض النظر عن بطلان الطرح العقدي الذي ساقته التوراة افتراء على الله تبارك وتعالى، والذي يصف المولى تبارك وتعالى بالتعب، ويصوره كإنسان يعمل ثم يشعر بالتعب والنصب، فيطلب لنفسه الراحة، فيختار اليوم السابع ليسبت، ويستريح. وعلى هذا فإن اليهود يعظمون اليوم السابع، أي يوم السبت، لأن الرب قد سبت فيه، واستراح من وعناء الخلق والتكوين، ولذا فإنهم يقدسونه دينياً، ويسبتون فيه من مغيب يوم الجمعة إلى مغيب يوم السبت، لا يصنعون في ذلك اليوم شيئاً، ولهم طقوس تعبدية في هذا اليوم المقدس. (٣)

وقد جاء في «سفر الخروج» في الإصحاح العشرين من الفقرة ١ إلى الفقرة ١٧ الحديث عن قدسية يوم السبت عند اليهود، فقد أوردت التوراة مايلي: «... إني أنا الرب إلهكم، الذي أخرجك من أرض مصر بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.. اذكر يوم السبت لتقدس، ستة أيام تعمل، وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت الرب إلهك. لا تصنع عملاً أنت، وابنك، وابنتك، وعبدك، وأمتك، وبهيمنتك، ونزيلك الذي هو داخل أبوابك، لأن الرب صنع السماء والأرض والبحر، وكل ما في الأرض والكون، واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقده..» (٤)

وهاهو نص آخر من تورا العهد القديم

ودعائية وإعلامية قد يستغلها اليهود - إلى تغيير وتعديل تاريخ الامتحان ليتناسب وطقوس هذا الطالب اليهودي المتدين والمتمسك بعقيدته ويم عطلته.

وقد ورد تقديس هذا اليوم عند اليهود العديد من المرات، فسفر التكوين، والخروج، والتثنية، والعدد، وصموئيل أول، وصموئيل ثاني، وعزرا، ونحميا، ويونا، ودانييل، وحزقيال وعاموس.. كلها قد أولت أهمية كبرى، وعناية خاصة بهذا اليوم.

ومن أهم ما ورد في تقديسه ما جاء في سفر التثنية في الإصحاح الخامس، حيث تقول التوراة: «... احفظ يوم السبت لتقدس كما أوصاك الرب إلهك، ستة أيام تشغل، وتعمل جميع أعمالك، وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك، ولا تعمل فيه عملاً أنت، وابنك، وابنتك، وعبدك، وأمتك، وثورك، وحمارك، وكل بهائمك، ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك، واذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر، فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة، وذراع معدودة ممدودة، لأجل ذلك وصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت.. هذه كلمات كلم بها الرب كل جماعتكم في الجبل، وكتبها على لوحين من الحجر، وأعطاني إياها...» (٦)

يشير صراحة إلى تقديس هذا اليوم، وفيه يأمرهم الرب إلههم بالسكون والثبات، فيجب عليهم ألا يكتروا من الحركة، ولا يقوموا بأي عمل أو مجهود للأصناف المذكورة في النص، بدءاً من السيد وانتهاء بالضيف والهيمة والعبد.. حتى أنهم تقديساً لهذا اليوم يُعدون طعامهم بالقرب من مجامير الفحم ليبقى ساخناً، ويجتهدون في ذلك اليوم على الإقلال من لمس الأشياء طاعة لربهم، الذي سبت واستراح يوم السبت، بعد أن تعب من صناعة وتكوين العالم بزعمهم. (٥)

ويعتز اليهود بقدسية هذا اليوم، حتى أنهم يصرون على تنفيذ أركان عقيدتهم الدينية في المجتمعات التي يعيشون فيها كأقليات، ففي سورية وفي جامعة حلب وفي كلية الطب رفض طالب يهودي إجراء الامتحان النهائي يوم السبت، لأنه مقدس بالنسبة إليه، وقابل رئيس الجامعة بكثير من الجراءة والوقاحة لأن يغير له توقيت الامتحان لأنه جاء في يوم عيده الأسبوعي، أو يغير توقيت الامتحان لجميع الطلبة احتراماً لمشاعره الدينية، واحتراماً لعقيدته الدينية التي تحرم عليه فعل أي شيء يومي الجمعة والسبت، ولن يفعل أي شيء حتى لو كان امتحانه النهائي والمصيري، مما اضطر إدارة الجامعة - لاعتبارات سياسية



حميشي، يوم شيشي، يوم سابات»، وهي تعني: اليوم الأول، اليوم الثاني، اليوم الثالث، اليوم الرابع، اليوم الخامس، اليوم السادس، يوم السبت، فجاءت تعاليم الدين المسيحي لتخالفهم في اعتقادهم محاولة منها لجلب القداسة إلى اليوم الذي تختاره هي وتخالف فيه اعتقاد اليهود، ولتنفي القداسة والإجلال عن يوم السبت الذي تجله يهود.

وقد ورد في أسفار العهد الجديد في (إنجيل يوحنا) في الإصحاح الخامس من الفقرة الـ ١٥ إلى الفقرة الـ ١٨ ما يلي: «... وكان إنسان هناك به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة هذا رآه يسوع مضطجعا وعلم أن له وَمَنًا- مرضا- كثيرا، فقال له: أتريد أن تبرأ؟ فأجابه المريض: يا سيدي ليس لي إنسان يلقيني في هذه البركة متى تحرك الماء. بل بينما أنا أت ينزل قدامي آخر. قال له يسوع: قم احمل أنت سريرك وامش. فحالا برئ الإنسان. وحمل سريريه ومشى. وكان ذلك في يوم السبت.

فقال اليهودي للذي شفي: إنه سبت لا يحل لك أن تحمل سريرك. أجابهم: إن الذي أبراني هو قال لي احمل سريرك وامش. فسألوه من هو الإنسان الذي قال لك ذلك؟ أما الذي شفي فلم يكن يعلم من هو؟ لأن يسوع اعتزل إذ كان في الموضع جمع. بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل وقال له: ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضا لئلا يكون لك أشر. فمضى الإنسان، وأخبر اليهود أن يسوع هو الذي أبراه. ولهذا كان اليهود يطردون يسوع، ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا في سبت.

فأجابهم يسوع أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل. فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضا إن الله أبوه معادلا نفسه بالله....» (٧)

كما ورد مثل هذا الطعن في قدسية يوم السبت في إنجيل يوحنا في الإصحاح التاسع عشر في الفقرتين الـ ٣١ والـ ٣٢، وكذلك في إنجيل لوقا في الإصحاح

ودون الدخول في تفاصيل الطرح التوراتي نسجل انطلاقا من هذا النص اتفاهة مع غيره من النصوص السالفة المذكورة وغيرها التأكيد على قداسة هذا اليوم عند اليهود، ويمكن رصد التالي:

١ - اختيار اليهود ليوم العطلة السبت إنما جاء بناء على نص مرجعي توراتي مقدس.

٢ - مدى تفاني وإخلاص اليهود في تقديس وتعظيم كتبهم وتعاليمهم الإلهية، ولو مظهرها بغية الحفاظ على مسحة التمايز الشكلانية بين الديانات والحضارات الأخرى.

٣ - تعظيم اليهود وتقديسهم لأعيادهم الدينية، ومنها يوم السبت (سابات)، الذي سبت في الرب بزعمهم.

٤ - تحملهم المشاق في سبيل الحفاظ على الهوية الحضارية اليهودية بتمايزاتها.

٥ - عدم الخجل أو الخوف من إظهار العقيدة اليهودية، بل يسعون جاهدين إلى إبراز مظاهر الاعتزاز بالعقيدة والدين اليهودي.

٦ - محاولاتهم الدائمة والدائبة لفرض طروحاتهم وعقائدهم على الآخرين، دون احترام للفوارق.

وفي المنظور اليهودي هذا يوم العطلة المقدس، الذي يفخرون به ضمن المحيط العربي والإسلامي، غير آبهين بدين وثقافة المحيط الكبير، ويعملون جاهدين على التمايز، ضارين عرض الحائط بكل الشعارات المزيفة التي يسوقونها عبر الهيئات والمنظمات الدولية والشعبية، كحقوق الإنسان والحرية الفردية..

٢ - آحاد.. اليوم الذي خالف فيه المسيحيون اليهود:

كان اليهود يرتبون الأيام على الشكل التالي فيقولون: «يوم آحاد أو يوم ريشون، يوم شيني، يوم شليشي، يوم ريبعي، يوم

السادس في الفقرة الـ ٢ إلى فقرة الـ ٥ وفي غيره من الأناجيل. (٨)

ودون الدخول في متاهات التحليل للنص الإنجيلي المليء أيضا بالأباطيل والترهات نشير فقط إلى الحقائق التالية:

١- مخالفة المسيحيين لليهود في تقديس يوم السبت، واستعاضتهم عنه بيوم الأحد.

٢- تقديس المسيحيين ليوم راحتهم الجديد الأحد، وتمسكهم به وعنادهم بمخالفة اليهود.

٣- محاولاتهم الدائمة لفرض وتعميم يوم الأحد كعطلة رسمية عالمية ولاسيما في البلاد المستعبدة، بشتى مظاهر الاستعباد والاستتباع الثقافي والفكري والعقدي والاقتصادي والإعلامي..

٤- تقديم يوم الأحد كيوم عطلة بديل، له الصبغة الرسمية والعالمية لينافس يومي السبت والجمعة.

٣- الجمعة اليوم الذي اجتمع فيه المسلمون كان العرب في الجاهلية يطلقون على يوم الجمعة يوم العروبة أي الرحمة، وأول من سمى يوم الجمعة في الجاهلية جد النبي محمد صلى الله عليه وسلم كعب بن لؤي، كما كان أول من صلى

الكريم، والسنة النبوية المطهرة بحجج واهية، وشعارات وهمية زائفة الغرض منها إرضاء اليهود والنصارى الذين لن يرضوا عنا حتى ولو اتبعنا ملتهم: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي لا نصير). (١٢)

الهوامش

- (١) خسر اليهود حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ الموافق ليوم ١٠/٠٦/١٩٧٣م التي وافقت يوم عيدهم كيبور المقدس، وهو العيد الذي لا يلمسون فيه شيئاً ويتفرغون فيه للعبادة.
- (٢) العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح الثالث، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٣٦م، ص ٢٣.
- (٣) راجع عبد الخالق بكر (دكتور)، محاضرات اليهودية، محاضرات مرقونة، قسم الدراسات العليا، معهد أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ص ٢١، بتصرف.
- (٤) العهد القديم، سفر الخروج، الإصحاح العشرون، الفقرات ١٧...١٠١، بتصرف.
- (٥) محمد الهواري (دكتور)، التشريع عند اليهود، محاضرات مرقونة، قسم الدراسات العليا، معهد أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ص ٤٣، بتصرف.
- (٦) العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح الخامس.
- (٧) العهد الجديد، انجيل يوحنا، الإصحاح الخامس، الفقرة ١٥...١٨، مطبوعات دار نور على نور، فرنسا، ص ٢٤، ٢٥.
- (٨) العهد الجديد، انجيل يوحنا، الإصحاح التاسع عشر، الفقرة ٣١، ٣٢، ص ١١٤.
- (٩) انظر مثلاً: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الشهاب، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ١٤٠٨هـ، ج ٣، ص ٣٨٢، وغيره من تفاسير الرواية والدراية.
- (١٠) الصابوني، صفوة التفاسير، ج ٣، ص ٣٨٢.
- (١١) انظر تفاسير الرواية والدراية في المسألة.
- (١٢) سورة البقرة، آية ١١٩.

أهبط إلى الأرض، وفيه تقوم الساعة، وهو عند الله يوم المزيد». (١١)

دون الدخول في تفاسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وغيرها من الآثار والأخبار الصحاح، تقتصر على تناول قدسية يوم الجمعة من الأطلر والمحددات الإسلامية المقدسة (القرآن- السنة- الآثار) وتبين ما يلي:

١- قدسية يوم الجمعة بنصوص صريحة وواضحة، وقطعية الدلالة والثبوت.

٢- ضرورة مخالفة اليهود والمسيحيين في أيام عطلتهم وراحتهم وتعبدتهم وأعيادهم.

٣- عدم اتباع ملة يهود ونصارى في اتخاذ يوم عطلتهم عوضاً عن يوم الجمعة المقدس لدى المسلمين.

٤- ضرورة احترام النص الشرعي الملزم بإجلال قداسة هذا اليوم، وعدم التلاعب بمشاعر المسلمين واحترام شعائر الله، وعدم مناصبتها العداء.

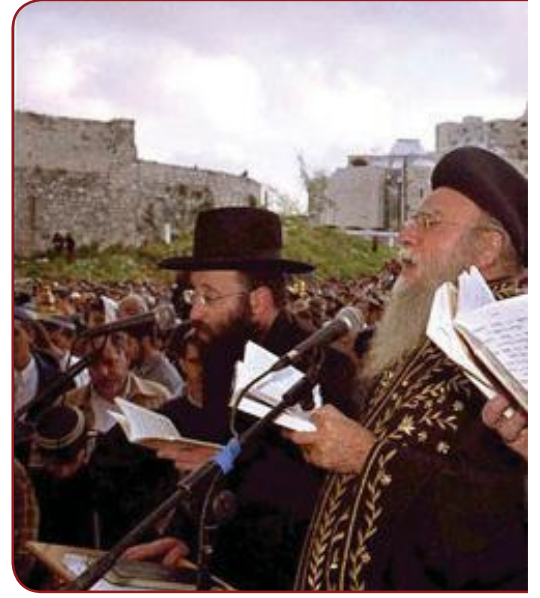
٥- ضرورة الحفاظ على يوم الجمعة كيوم عطلة وراحة متميزة تتميز بها الأمة الإسلامية وكمظهر من مظاهر رفض التبعية الاستيعابية المطلقة للغرب اليهودي والصليبي.

٦- اعتبار يوم الجمعة وسائر الأعياد الدينية الأخرى مظهراً من مظاهر التفوق والتمايز والأصالة.

٧- عدم الخجل من التمسك بالعقيدة الإسلامية في قرن الأديان والإيمان.

خاتمة ونتيجة

وبعد... إن يوم الراحة هو يوم ذو أبعاد دينية وحضارية وروحية لدى الأمم، كما أنه عامل تمييز وتأسيس واعتزاز حضاري لكل أمة. فهل يعقل ويستساغ أن يتمسك اليهود بيومهم السبت، ويدافعون عنه، ويحاولون فرضه على الغير؟ ويتمسك النصارى بيومهم الأحد، ويدافعون عنه، ويحاولون فرضه بالقوة على الغير؟ ونتنازل نحن العرب والمسلمين عن يوم الجمعة المنصوص عليه قطعياً في القرآن



بالمسلمين الجمعة في الإسلام الصحابي الجليل أسعد بن زرارة الأنصاري رضي الله عنه، كما صلى النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة الأولى بالمسلمين في بني سالم بن عوف بالقرب من المدينة المنورة أثناء هجرته. (٩)

ويروى عن أسباب نزول سورة الجمعة أن اليهود كانوا قد افتخروا على جماعة المسلمين في ثلاث هن: «أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم أهل كتابة وعلم وقراءة، وأن العرب أمة لا علم عندهم ولا كتابة، ولا كتاب. وأن لهم يوم الراحة السبت، ولا يوجد عند العرب مثله. فكذبهم الله في الأولى بقوله: (... فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليهم بالظالمين)، وسفهم في الثانية بقوله الكريم: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا...)، وشرع للمسلمين يوم الجمعة لينغض به يهود. (١٠)

كما ورد في فضل يوم الجمعة في الأثر الكثير من البر والخير، من ذلك ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه